مجلة الآداب واللغات
جامعة أبي بكر بلقايد،تلمسان / الجزائر
ISSN : 2676-1963/ EISSN: 2676-167X
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/416

التخالف الصوتي في قراءة ابن كثير

The phonetic dissimilation in the Quranic reading of Bno Kthir

عصماني مختارية *،جامعة تلمسان،Osmanimokhtaria22@gmail.com
مصطفاوي عبد الجليل ، جامعة تلمسان، الجزائر. abdejlil.mostefaoui@hotmail.com

تاريخ المقال:
الإرسال:16 -2021-07 القبول:06-2022-02 النشر:.15-2022-05-15

الكلمات المفتاحية
المخالفة الصوتية
الصوامت - المقاطع

ملخص البحث

يتناول هذا البحث ظاهرة التخالف الصوتي في قراءة ابن كثير، وذلك لدراستها ضمن الدرس اللّغوي الحديث بتوظيف آليات علم الأصوات الوظيفي؛ لإبراز هذه الظاهرة التي حفلت بها كتب التراث اللغوي، وكتب القراءات القرآنية والتجويد، وتقديمها في قالب علمي حتّى يستفيد منها دارسو قسم اللّغة والأدب العربي .

Keywords
Phonetic - Dissimilation consonants - syllables

Abstract

the research treats the phonetic phenomenon in Ben Kathir reading, in order to study these phenomenon in the modern linguistics, by using the organs of sounds science “phonology”, in order to show these phenomena, which are available in the linguistic heritage books, and Quran readings books and recitation, and present them in a scientific form. for the benefits learners of the Arabic language and literature department

* المؤلف المرسل

تمهيد:

تحرص العربية على المخالفة لما تؤمّنه من تنوّع موسيقي ،لأنّها تساعد على إبراز الأصوات على أصلها نطقا وسمعا، وفي هذا يقول تمّام حسان: "من الواضح أنّ النّظام اللّغوي، والاستعمال السياقي جميعا يحرصان في اللّغة العربية الفصحى على التّخالف ،ويكرهان التّنافر والتّماثل (حسان، 1425هـ-2004م) ،والمخالفة بوصفها أثرا لقانون الاقتصاد في الجهد ؛يعتبر التخفيف بسقوط الصائت القصير مظهرا من مظاهرها وغاية من غاياتها.

1. سقوط الصائت القصير وتعليله عند اللّغويّين:

لقد تنبّه اللّغويّون إلى أنّ كثرة الاستعمال تقف وراء ظاهرة التخفيف؛ لأنّ "من عادة العرب إذا كثر استعمالهم لشيء أحدثوا فيه تخفيفا بوجه من الوجوه" (مكيّ بن ابي طالب، 2007م)، إلاّ أنّه مع هذا يكون مظهرا من مظاهر الاختلاف اللّهجي بين العرب. (آغا، 1428هـ -2007م).

1.1. التّخفيف بالتّسكين في منظور التّحليل الصّوتي الحديث:

فمن الثابت تاريخيا أنّ الحجاز وما جاورها كانت تتّصف بنوع من التحضّر والتمدّن، لاتّصالها بالأمم الأكثر تقدّما ومدنيّة في ذلك الزّمان كالفرس والروم في الشّمال وبعض حضارات اليمن في الجنوب، ولا شكّ في أنّ ذلك له مظاهره في أساليب كلامهم وحسن انتقائهم لألفاظه. وانطلاقا من ذلك فإنّ الحجازيّ كان بفطرته ميّال إلى التّأني في اختيار الألفاظ وطريقة نطق بعض الأصوات مع الحرص على إعطاء كل صوت حقّه من الكمال، وعدم الجور عليه بالحذف أو التغيّير.كما أنّ بني تميم ومن شاكلهم من القبائل البدوية كانت تميل إلى التّخفيف في النطق، وما يجر إليه ذلك من السرعة أحيانا في النّطق، والحيف على بعض الأصوات بالحذف والاقتصاد في المجهود العضلي. وكان بناء على جميع ذلك أن يعمد التميميّون كعادتهم إلى التّخفيف والتصرّف في بعض الحركات بالحذف أو التغيّير. (المباركي، 2007م)

يأخذ التّخفيف في القراءات القرآنية مظاهر مختلفة بواسطة تهيئته للمقابلات، أو الفرق بين المتخالفات أي بواسطة استخدام القيم الخلافية. ومن أهمّ هذا الاستخدام: التسكين؛ ذلك أنّ السّكون وحده في النّظام الصوتي للّغة العربية يقف في مقابل الحركة أيّا كانت هذه الحركة؛ فتحة أو كسرة أو ضمّة، فيكون بينهما قيمة خلافية. (حسان، 1425هـ-2004م)

فالتسكين باعتباره قيمة خلافية تقابل الحركة يغيّر البنية المقطعية، والعربيّة تكره تتابع المقاطع القصيرة؛لأنّ الكلمة العربيّة نسيج من المقاطع القصيرة والمتوسّطة بنوعيها في أغلب الأحيان. والمقاطع القصيرة تمثّل عنصر التوتّر في الصيغة بسبب تتابعها السّريع، في حين تمثّل المقاطع المتوسّطة المفتوحة عنصر التخلخل والضّعف في الصّيغة؛وذلك بسبب الفسحة الزمنيّة التي تفصل بين المقطع المتوسط المفتوح والمقطع الذي يليه، ومن ثمّ جاءت الكلمة العربيّة - في أغلب الأحوال - معتدلة في نسجها تجمع بين القوّة والضّعف، أو بين التوتّر والتخلخل، أو بعبارة أخرى بين المقاطع القصيرة والمتوسطة. (الشايب، 1425هـ-2004م)ولهذا فإنّ العربيّة لم تجمع بين أربعة مقاطع قصيرة في

كلمة واحدة إلا في حالة نادرة،وكره العربية للتتابع المقاطع القصيرة يفسّر لنا ميل بعض العرب قديما إلى تسكين العين في كثير من الأسماء والأفعال الثّلاثية ،وينسب اللغويّون هذه الظاهرة إلى بني بكر بن وائل، وإلى أناس كثير من تميم، (الشايب، 1425هـ-2004م)وعلى أساس من هذه الحقيقة نستطيع أن نفسّر مجموعة من الظواهر في اللّغة العربية.

1. 2. ظاهرة التّسكين عند اللّغويّين القدامى:

حين تحدّث بعض الدّارسين عن حذف الصائت القصير من عين (فُعُل) بضمتين رأى أن هذا التغيّير في أصوات الكلمة حذف لبعض الصوائت لعلّة قامت في نفوس العرب وأذهانهم ممّن جبلوا على الإسراع في النطق والأداء اللّغوي؛ ليحقّقوا من ذلك هدفا معيّنا، هو في أغلب الأحيان التخفيف عن عبئ تلك الحركة، فيلجؤون إلى طرحها من كلامهم دون قصد منهم في ذلك؛ لأنّه شيء اعتادوه، وجرت عليه طبائعهم، وصار كأنّه فطرة لهم، وسليقة عندهم. (سلطان، 1425هـ-2004م)

وقد فطن إلى ذلك علماء العربية في القرون الأولى من مجيء الإسلام، فرأوا أنّ إسقاط حركة "الصائت" في صيّغ بعينها كان شائعا في قبائل البدو، وإن لم يكن مقصورا عليهم في جميع الحالات. وكان إمام العربية سيبويه السبّاق في تسجيل بعض تلك الصيغ مع بيان ما يحدث فيها ويعرض لها من حذف الحركة، وذلك في "باب ما يسكن استخفافا وهو في الأصل متحرك"،ومن أبرز الأمثلة في الكتاب قول أبي النجم (ت: 130 هـ):لَوْ عُصْرَ مِنْهُ البَانُ وَالمِسْكُ اِنْعَصَرْ. (سيبويه، 1998م)

فعلّل سيبويه الإسكان بقوله: "وإنّما حملهم على هذا، أنهم كرهوا أن يرفعوا ألسنتهم عن المفتوح إلى المكسور، والمفتوح أخفّ عليهم، فكرهوا أن ينتقلوا من الأخف إلى الأثقل، وكرهوا في عُصِر الكسرة بعد الضمّة، كما يكرهون الواو مع الياء في مواضع، ومع هذا؛ إنّه بناء ليس من كلامهم إلا في هذا الوضع مع الفعل، فكرهوا أن يحوّلوا ألسنتهم إلى الاستثقال". (سيبويه، 1998م)

وقال عيسى بن عمر(ت: 149هـ): "كلّ اسم على ثلاثة أحرف، أوّله مضموم وثانيه، ففيه لغتان: التّخفيف والتّثقيل"، (الأندلسي، 1413هـ-1992م) والتخفيف والتثقيل لغة قرّاء الكوفة، (النحاس، 1985م) وهي لغة فاشية في تميم. أمّا التحريك فلغة الحجازيّين. (ابن زرعة، 1413هـ-1992م) ويرى أحد علماء العرب، أن التأليف بين الحركة والسكون أحلى وأحسن، لذلك يقدّم ساكن الحشو على المتحرك؛لأنّ السكون أخفّ من الحركة. (الفرابي، دت)

وذكر ابن جنّي أن ابن مجاهد قال: "قال عبّاس: سألت أبا عمرو عن: "ويعلّمهم الكتاب " (البقرة: 129)، فقال: أهل الحجاز يقولون: "يُعَلِّمُهُم، وَيَلْعَنُهُم مثقّلة، ولغة تميم: يُعَلِّمْهُم، وَيَلْعَنْهُم ". (ابن جنّي، 1998م) وعّلل جنوح تميم إلى الإسكان بقوله: "أما التثقيل فلا سؤال عنه ولا فيه؛ لأنّه استيفاء واجب الإعراب، لكن من حذف فعنه السؤال، وعلّته توالي الحركات مع الضمّات، فيثقل ذلك عليهم، فيخفّفون بإسكان حركة الإعراب". (جني، 1998م)

ويرى بعض الدارسين أن اللّهجة التميميّة في حذف الحركات فرع على اللّهجة الحجازيّة، وأنّ هذا الحذف يلائم عادات البدو في سرعة النطق؛ لميلهم

إلى الاقتصاد في الجهد العضلي، ولا شكّ أنّ حذف الحركات فيه تيسير واقتصاد، وهو ما يسعى إليه التميمي البدوي، بخلاف الحجازي المتحضّر الذي يسعى إلى إعطاء كل صوت حقّه من البيان. (الجندي، 1978م)

وقلّد القدماء هذا التخفيف ببنائي (فعُل وفعِلَ) فقط ولم يجوّزوا ذلك في (فَعَل) لخفته، والخفيف لا يخفّف، قال سيبويه: "وأما ما توالت فيه الفتحتان فإنّهم لا يسكّنون منه؛ لأنّ الفتح أخف عليهم من الضمّ والكسر، كما أنّ الألف أخفّ من الواو والياء". (سيبويه، 1998م) ورد عن أبي علي أنّ الإسكان يكون في الضمّ والكسر، ولا يكون في الفتح إلا شاذّا لخفّته. (الفارسي، دت) كما ورد عن ابن خالويه روايته عن الأصمعي، قال لأبي عمرو: أنت تميل في قراءتك إلى التخفيف فلم لم تقرأ: " يدعوننا رغبا ورهبا " (الأنبياء: 90) بالإسكان؟ فأجابه: ويلك أَجَمَل أخفّ أم جَمْل؟. (ابن خالويه، دت) وقال أبو حيّان: "وتميم تسكّن عين فعل". (الأندلسي، 1413هـ-1992م) وقال في موضع آخر: "تسكين عَلِم قياسيّ مطّرد في لغة تميم". (الأندلسي، 1413هـ-1992م)

وجاء عن ابن جنّي: "ما جاء عنهم من ذلك في المفتوح، فشاذّ لا يقاس عليه، نحو قوله:

وَمَا كُلّ مُبْتَاعٍ وَلَوْ سَلْفَ، صَفْقُهُ يُرَاجِعُ مَا قَدْ فَاتَه بِرِدَادِ". (جني، الخصائص، 1429هـ-2008م)

وقد جاء هذا فيما كان على أكثر من ثلاث أحرف،قال العجاج(ت:90ه):(ابن جني، الخصائص، 1429هـ-2008م)

فَبَاتَ مُنْتَصْباً وَمَا تَكَرْدَسَا

فأجرى " مُنْتَصْباً " مجرى فَخْذ فأسكن ثانيه. وعليه حكاية الكتّاب:" أراك مُنْتَفْخا". (ابن جني، الخصائص، 1429هـ-2008م) قال سيبويه: "وممّا أشبه الأوّل فيما ليس على ثلاثة أحرف قولهم: أراك منتفخا، تسكّن الفاء تريد: منتفخا، فما بعد النون بمنزلة كَبْد". (سيبويه، 1998م) فجعل "نَفْخا" من "مُنْتَفْخا" مثل"كَتْف" فأسكن اللام. (النيرباني، 1427هـ-2006).

2. التسكين (سقوط الصائت القصير) في قراءة ابن كثير:

1.2 توالي ضمتين (فُعُل):

يكون هذا الوزن في المصدر والجمع، قال سيبويه: ويكون "فُعُلا" في الأسماء والصفة، فالاسم: الطُّنُب، والعُنُق، والعُضُد، والجُمُد ...والصفة:الجُنُب، ونُكُر ... قال تعالى:{ إلى شيء نكر}(القمر: 6) . (سيبويه، 1998م) وقد قال عيسى بن عمر: "كل اسم على ثلاثة أحرف، أوله مضموم وثانيه، ففيه لغتان: التخفيف والتثقيل". (الأندلسي، 1413هـ-1992م)فأسكن الدال ابن كثير من "القدس" حيث جاء، (ابن الجزري، 2002م) والقدس الطهر. (ابن خالويه، دت) وجاء في غالبية كتب الاحتجاج للقراءات أن الضمّ أصل وإتيان للكلمة على أصلها، وقد اختار مكيّ بن أبي طالب قراءة الضمّ ؛لأنّ القرّاء قد أجمعوا عليه كما أنّ حروف الكلمة قليلة وخفيفة. (ابن خالويه، دت)

وذهب صاحب الإتحاف أنّ الضمّ لغة الحجازيّين، والإسكان لغة تميم وأسد وعامّة قيس. (البنا، 1407هـ-1987م) وقد ذكرنا سابقا أنّ التخفيف لغة قرّاء الكوفة وهي لغة فاشية في تميم،

أمّا التّحريك فلغة الحجازيّين. (البنا، 1407هـ-1987م)غير أنّ صاحب الإتحاف حكا قولا بأنّ الأصل الإسكان وأمّا الضمّ فإتّباع، غير أنّ غيره رأى أنّ من أسكن كره توالي ضمّتين في اسم فأسكن تخفيفا، أو يكون الإسكان لغة، تقول العرب: الحُلُم والحُلْم، والطُنُب والقُدُس والقُدْس. (مكي ابن ابي طالب، 2007م) (ابن الجزري، 2002م) وعليه فإنّ الإسكان يكون: إمّا استخفافا لتوالي ضمّتين، أو لغة، أو أصلا والضمّ إتّباع.

وأسكن ابن كثير الكاف من "أكلها وأكله، والأكل وأكل"، وهي قراءة نافع، ووافقهم أبو عمرو في "أكلها" خاصّة. (ابن الجزري، 2002م) وجاء عن ابن خالويه أنّ قوله تعالى:{فآتت أكلها} (البقرة: 265) يقرأ بضمّ الكاف وإسكانها، فحجّة من ضمّ أنّه أتى بالكلام على أصل ما كان عليه، ودليله: إجماعهم على الضمّ في قوله تعالى:{ ذواتي أكل خمط}(سبأ: 16) أمّا من أسكن: أن هذه اللفظة لمّا اتّصلت بالمكنّى ثقلت، وتوالي الضمّتين ثقيل أيضا، فخفف بالإسكان. (ابن خالويه، دت)

وجاء عن مكيّ بن أبي طالب أن الضمّ هو الأصل والإسكان على التخفيف، فهما لغتان. (مكيّ ابن ابي طالب، 2007م)غير أنّ هناك من يرى أنّ الإسكان والضم لغتان في كل اسم على ثلاثة أحرف أوّله مضموم، والإسكان هو الأصل، وهو لغة (تميم – وأسد) والضمّ لمجانسة ضمّ الحرف الأوّل وهو لغة الحجازيّين. (ابن محيسن، 1418هـ-1998م) وعليه فإنّ الضمّ والإسكان لغتان، فإمّا أن يكون الإسكان هو الأصل، وبالتالي فإنّ الظاهرة الصوتية هي: إتّباع الضمّ للضمّ، أو أنّ الأصل الضمّ والإسكان تخفيف لاستثقال الضمّتين، فالظاهرة هي إذن مخالفة صوتية.

أمّا قوله تعالى: {شُغُل}وهو في (يس: 55) فقرأ ابن كثير بإسكان الغين، وهي قراءة نافع وأبي عمروا،(ابن الجزري، 2002م) وهما لغتان كالسُّحُت والسُّحْت. (ابن الجزري، 2002م) وجاء عن ابن خالويه أنّه يقرأ بضمّتن متواليتين، وبضمّ السين وإسكان الغين، فقيل هما لغتان فصيحتان، كما قيل: الأصل: الضمّ، والإسكان: تخفيف. (ابن خالويه، دت) غير أنّه جاء عن بعض العلماء: أنّ الإسكان هو الأصل، وهو لغة (تميم – وأسد)، والضمّ لمجانسة ضمّ الحرف الأوّل، وهو لغة (الحجازيّين) . (ابن الجزري، 2002م)

أمّا قوله تعالى: {نُكُر }وهي في (القمر: 6) فأسكن ابن كثير (الكاف) . (ابن الجزري، 2002م) والضمّ الأصل، والإسكان تخفيف. (ابن خالويه، دت) وجاء عن مكيّ بن أبي طالب أنّهما لغتان، والأصل الضمّ، والإسكان على التخفف ك (رُسُل) و (رُسْل) و (كُتُب) و (كُتْب) و (نكر) صفة و(فعل) في الصفات قليل. (مكيّ ابن ابي طالب، 2007م) غير أنّ هناك من قال: إنّ الضمّ والإسكان لغتان في كل اسم على ثلاثة أحرف أوّله مضموم، والإسكان هو الأصل، وهو لغة (تميم – وأسد) والضمّ لمجانسة ضمّ الحرف الأوّل، وهو لغة الحجازيّين. (ابن محيسن، 1418هـ-1998م)

أمّا قوله تعالى: {خُشُبٌ}وهي في (المنافقون: 4) فقد اختلف عن قنبل فروى ابن مجاهد عنه الإسكان في الشين، وروى ابن شنبوذ عنه الضمّ. (ابن الجزري، 2002م) والضمّ هو الأصل؛ لأن الواحد خشبة، والجمع خُشُبٌ ك (بَدَنَه وبُدُن)و (أَسَدٌ وأُسُدٌ)، أو أنّه جمع الجمع كقولهم: ثمار وثمر، والضمّ لغة أهل الحجاز، أمّا الإسكان فهو استخفاف، وهو حسن لأنّه تشبيه بالجمع في (بدنة وبدن) ودليله قوله تعالى: {والبُدْن جَعَلْناها لَكُمْ}

(الحج: 36) . (ابن خالويه، دت) كما قيل أنّ الإسكان والضمّ لغتان في كل اسم على ثلاثة أحرف أوله مضموم، والإسكان هو الأصل، وهو لغة (تميم – وأسد)، والضم لمجانسة ضمّ الحرف الأوّل، وهو لغة الحجازيّين كما سلف ذكره. (ابن محيسن، 1418هـ-1998م)

وخلاصة القول، إنّ إسكان الوسط فيما توالت فيه الضمّتان على النهج المذكور قد نسب إلى بني تميم، (ابن زرعة، 1413هـ-1992م) كما أنّ لهجة حذف الحركة فرع على اللّهجة الحجازية. (سيبويه، 1998م) غير أنّنا لو عقدنا مقارنة بين السكون وبين مطلق الحركة لوجدنا أنّ السكون أخفّ من سائر الحركات، وأنّه يؤدّي وظيفة صوتية، فيكون علامة على غلق المقطع الصوتي، وعلى الوقف، وعلى خلوّ الحرف من الحركة، (سلطان، 1425هـ-2004م) وأنّه "وحده في النظام الصوتي يقف في مقابل الحركة أيّا كانت، فهو قيمة خلافية"(حسان، 1425هـ-2004م) علاقتها بالحركة علاقة الإيجاب والسلب. (شاهين، 1408هـ-1978م)

وتتابع الحركات وتواليها قد يكون مظهرا من مظاهر الثقل، يكرهها العرب كتتابع الضمّتين؛ لأنّهم يكرهون الواوين، وإنّما الضمّتان من الواوين، لذا يميل المتكلّم إلى تخفيف ذلك بالمخالفة بينهما عن طريق التسكين. (آغا، 1428هـ -2007م) ثم إنّ التخلص من تتابع الحركات بحذف الحركة قد يكون لتحويل المقاطع المفتوحة إلى مقاطع مغلقة من أجل توفير الجهد والاقتصاد فيها، وعموما هو سلوك لغوي للعربي يراد به التخفيف. (آغا، 1428هـ - 2007م)

فإنّ كره تتابع المقاطع يفسّر ميل بعض العرب قديما إلى تسكين العين في (فُعُل)، فالتباين والتخالف ليس في الحركات فقط بل في البناء المقطعي أيضا. فتوالي الضمتين يؤدي إلى تغيّير في البناء المقطعي باستخدام القيمة الخلافية السالبة (السكون) في مقابل التحريك، فينتج عنه تحوّل الكلمة في بنائها المقطعيّ من ثلاثة مقاطع قصيرة متماثلة إلى مقطعين: متوسّط مغلق، وقصير مفتوح على النحو التالي:

قُدُسُ: ص ح + ص ح + صح - قُدْسُ: ص ح ص + ص ح.

خُشُبُ: ص ح + ص ح + ص ح - خُشْبُ: ص ح ص + ص ح

و العربيّة قد تخلّصت من هذا الوضع؛ توالي ثلاثة مقاطع قصيرة مفتوحة بإدماج المقطعين الأوّل والثاني في مقطع واحد.

2.2. <u>توالي حركتين مختلفتين (فعل)</u>:

قوله تعالى: { وَرَجِلِكَ}(الإسراء: 64) رواية حفص بكسر الجيم أما قراءة ابن كثير بإسكان الجيم، وهي قراءة الجمهور. (ابن الجزري، 2002م) وكسر الجيم لغة في (راجل)، يقال: رَجْل ورَجِل للراجل، فيسكّنون استخفافا، ورجل صفة إذا كان بمعنى راجل، والصفة إذا كانت على (فَعْل) جاز فيها (فَعِل)، يقال: نَدْس، ونَدِس وحَذْر وحَذِر، فعلى هذا قالوا في (رَجل) الذي هو صفة بمعنى "راجل" رَجِل، كما قالوا (نَدِسا) . (الأندلسي، 1413هـ-1992م)

أما من أسكن أراد جمع (راجلا) على (رَجْل) ك(صاحب وصَحْب) و (راكب ورَكْب) و(تاجر وتَجْر)، وقد قالوا: رجل ورجال، كما قالوا: صاحب وصحاب، وقالوا: راجل ورجال، كما يجوز أن تكون قراءة من

أسكن مثل قراءة من كسر الجيم، إلاّ أنّه أسكن الكسرة استخفافا، فتتّفق القراءتان. (الأندلسي، 1413هـ-1992م)

2. 3 توالي فتحتين (فَعَل):

قَوله تعالى: { دَأَبا}(يوسف: 47) رواية حفص بفتح الهمزة، أمّا قراءة ابن كثير، وهي قراءة الجمهور بإسكان الهمزة. (ابن الجزري، 2002م) هناك من يفسّر الإسكان على أنّه مصدر والفتح لإرادة الاسم فيجوز أن يكون أصله الفتح، فأسكن تخفيفا، وهناك من يفسّره على أنّهما لغتان مثل: النَّهْر والنَّهَر والسَّمْع والسَّمَع، واختار لذلك قراءة الإسكان؛ لأنّه أخفّ وقد أجمع عليه. (ابن خالوي:دت)أمّا قوله تعالى: { لهَب}(المسد: 1) اختلفوا فيه فقرأ ابن كثير بإسكان الهاء وقرأ باقي القراء بفتحها، واتّفقوا على فتح الهاء من قوله تعالى: {ذات لهب}،و{ولا يغني من اللّهب} (المرسلات: 31)؛ لتناسب الفواصل، ولثقل العَلَم بالاستعمال. (ابن الجزري، 2002م) وهما لغتان كما قالوا: وَهْب، ووَهَب، ونَهْر ونَهَر، وإنّما يكون هذا فيما كان حرف الحلق فيه عين الفعل أو لامه في هذا الوزن. (ابن خالويه، دت)

وعلى هذا الإحصاء لبعض الكلمات القرآنية الثلاثية المقاطع، تدفعنا النتائج الأوّلية لهذه الدراسة إلى أن نقول: إنّ العربية تنزع إلى تسكين وسط الثلاثي نزوعا يكاد يشيع فيها؛ ليكون مظهرا من مظاهر تطورها. وهو مبدأ لساني يقضي بأنّ المتكلّم ينزع دوما إلى التخفيف ليوفّر الجهد، وكانت هذه الظاهرة تتداول في الكلام الشفوي، وتنقل إلى نصوص الشعر، بل انتقلت إلى نصوص القرآن الكريم، ولولا أنّ العربية حدّدت قواعدها في مستوى من الفصاحة (المرجع المعياري)؛ لكان تسكين وسط الثلاثي قاعدة لغوية يتكلّم بها، وتتعلّم في مؤسسات التعليم . (خان، 2003م)

وقد رفض البصريون تخفيف مفتوح العين؛ لأنّ الفتحة خفيفة. ولكنّ الشواهد كثيرة، واطّرادها يؤدّي إلى فشو هذه الظاهرة، ومن هنا كان من اللازم قبولها. (خان، 2003م) قال تعالى: {قَدَرُهُ} (البقرة: 236) قرأها ابن كثير في الموضعين بالإسكان، (ابن الجزري، 2002م) وهما لغتان، قال الأخفش (ت: 215هـ) القدر والقدر، وهم يختصمون فيهما، فدليل الفتح إجماعهم على الفتح في قوله تعالى:{ فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا }(الرعد: 17) ،و{ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} (القمر: 49)، ودليل الإسكان إجماعهم على الإسكان في قوله تعالى: {حَقَّ قَدْرِهِ } (الأنعام: 91)، و{ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا } (الطلاق:3)،و{ لَيْلَةِ الْقَدْرِ }(القدر: 1) فالقراءتان متساويتان. (مكيّ بن ابي طالب، 2007م)

و يحسن أن نذكر أنّ الفرّاء قد أشار في مصنّفه أنّ الثقل يختص بالضمة وبالكسرة لا بالفتحة، فلو كانت فتحة لم تستثقل فتخفّف، لأنّ "لمخرجيهما مؤونة على اللسان والشفتين، تنضمّ الرفعة بهما فيثقل الضمّ، ويمال أحد الشدقين إلى الكسرة، فترى ذلك ثقيلا، والفتحة تخرج من خرق الفم بلا كلفة". (الفرّاء، 1423هـ-2002م) وقدّم الفرّاء في تحليله وصفا لما يستثقله العرب، منها استثقالهم "كسرة بعد ضمّة أو ضمّة بعدها كسرة أو كسرتين متوليتين، أو ضمّتين متواليتين". (الفراء، 1423هـ-2002م) لكنّ الواقع يخالف ما قاله الفّراء عن كون الفتحة غير مستثقلة؛ ذلك أنّ السكون أخفّ وقد وردت كلمات قرآنية كثيرة بالإسكان دون الفتح، منها

قوله تعالى: {قِطَعا} (يونس: 27) اختلف القراء، فقرأ ابن كثيرويعقوب والكسائي بإسكان (الطاء)، وقرأ باقي القرّاء بفتحها. (ابن الجزري، 2002م)

جاء عن ابن خالويه: قوله تعالى{ قِطَعا مِنَ اللَّيْلِ مُظلما} (يونس: 27) يقرأ بفتح الطاء وإسكانها، فمن فتحها أراد جمع قطعة على التكسير، ومن أسكنها أراد ساعة من الليل، ودليلة قوله تعالى: { فاسر بأهلك بقطْع من اليل} (هود: 81)أو أراد الفتح فأسكن تخفيفا. (مكيّ بن أبي طالب، 2007م)فجعل حذف الصائت (الفتحة) تخفيفا، وأيضا قوله تعالى: {كِسَفًا} (الإسراء: 92) و(الشعراء: 187) و (الروم: 48) و(سبأ: 9) قرأ ابن كثير بإسكان السين، وهي قراءة الجمهور، وقرأ ابن عامر وعاصم والمدنيان بفتح السين في (الإسراء: 92) خاصّة، وكذلك رواية حفص في (الشعراء: 187) و (سبإ: 9) (ابن الجزري، 2002م)

4.2 الجمع (فعلة):

اختلف عن البزّيّ في إسكان الطاء من "خطوات" أين أتى؛ فروى عنه أبو ربيعة الإسكان،وروى عنه ابن الحجاب الضمّ(الخطيب، دمشق) ،والمعروف أن المجموع بالألف والتاء إمّا أن يكون اِسما أو صفة، فإن كان اِسما ثلاثيا ساكن العين غير معتلّها، ولا مدغمها سواء اختتم بتاء أم لا، فإن كان مختوما بالتاء أو غير مختوم، فلا يخلو إما أن تكون فاؤه مفتوحة أو مضمومة أو مكسور، فإن كانت مضمومة: كرشوة، أو مكسورة: كهند، وبني على أدنى العدد (كفُعلة) ألحقت التاء وحركت العين بضمّة، وذلك قولك: رُكبة ورُكُبات، وغُرفة وغُرُفات، وجُفْرَة وجُفُرات، وعليه جاءت قراءة الجماعة: {إنّ الذين ينادونك من وراء الحجرات} (الحُجُرات: 4)، وقوله تعالى: {الغُرُفات آمنون} (سبإ: 37) وقد قرأ أبو جعفر بفتح الجيم من قوله تعالى: {إنّ الذين ينادونك من وراء الحجرات} (الحجرات: 4) . (الزجاج، 1426هـ-2005م)

وقال سيبويه والخليل، وجميع البصريّين النحويّين: سمعنا من يقول: (الزجاج، 1426هـ-2005م)

وَلَمَّا رَأَوْنَا بَادِياً رُكَبَاتِنَا عَلَى مَوْطِنٍ لاَ نَخْلُطُ الجِدَّ بِالهَزْلِ

"وهي لغة تميم وناس من قيس". (الأندلسي، 1413هـ-1992م). وإذا كان جمع المؤنث لما هو على وزن "فعلة" ساكن العين معتلّ اللام وجمع بالألف والتاء جمعا مؤنّثا سالما، فإن فيه بالإضافة إلى ما سبق لغة أخرى، وهي إسكان العين، وبها كانت قراءة الإسكان في قوله تعالى: { ولا تتّبعوا خُطُوات الشيطان} (البقرة: 168).وعليه فإنّ في "خطوات" ثلاثة لغات:

الضمّ: وهو إتيان باللفظ في الجمع على حقيقة ما وجب له حملا على أصل الأسماء؛ لأن الأسماء يلزمها في الجمع في نحو (غُرفة) و (غُرُفات) فضمّه؛ لأنّه جمع (خُطْوة) على الأصل، ودليله قوله تعالى:{الغُرُفات آمنون}(سبإ: 37)، والضمّ لغة أهل الحجاز. (طالب، 2007م)

الفتح: "خطوات"، وهي قراءة شاذّة، ولكنّها جائزة في العربية، وسبق ذكرها في قول سيبويه. (الزجاج، 1426هـ-2005م)

الإسكان: لأنّه خفّف الكلمة لاجتماع ضمّتين متواليتين وواو، فلمّا كان التمكين في مثل هذا مع غير الواو؛ كان حذف الصائت للتخفيف من توالي الأمثال. الضمّتان والواو أولى لثقل اجتماع الضمّتان

والواو؛ لأنّه جمع، ولأنّه مؤنث، فاجتمع ثقل الجمع، وثقل التأنيث، وثقل الضمّتين والواو؛ لذلك حسُن التخفيف وقوي، فلا يحسن أن يقال: تركت الطاء عن سكونها في الواحد؛ لأنّ الجمع يلزمه الضمّ، فهي ضمّة أسكنت تخفيفا. (زرعة، 1413هـ-1992م)

يقول عبده الراجحي: حين تتجاور أصوات متماثلة أو متقاربة تميل بعض اللّهجات إلى حذف أحدها طلبا للتّخفيف، وليس هذا الحذف مقصورا على الصوامت وحدها بل يشمل الصوائت أيضا، وقد يكون الصائت جزءا من الشكل في بنية الكلمة، وقد يكون ذا وظيفة إعرابية. (الراجحي، 1428هـ-2008م) كما يمكن أن نفسّر هذه الظاهرة التي نراها في الشعر والنثر أيضا على أساس التخلّص من تتابع المقاطع القصيرة المجهدة. (الشايب، 1425هـ-2004م)

خُطُوَات: ص ح / ص ح / ص ح ح ص.خُطْوَات: ص ح ص / ص ح ح ص.

حيث نرى أنّ العربية تخلّصت من ثقل هذا التتابع في المقاطع القصيرة بإدماج المقطعين الأوّل والثاني في مقطع واحد مغلق.

أمّا قوله تعالى:{ نَحِسات} (فصلت: 16)اختلفوا فيه، فقرأ ابن كثير بالإسكان في الحاء، وهي قراءة الجمهور، وكسرها أبو جعفر وابن عامر والكوفيون. (ابن الجزري، 2002م)فهذا ما كان صحيح العين مفتوح الفاء وجمع بالألف والتاء، فالقول فيه، والمتّفق عليه عند النّحاة أنّ يلزموه فتح العين إذا كان اسما لا صفة، وعليه جاء قوله تعالى:{ كذالك يريهم الله أعمالهم حَسَرات عليهم} (البقرة: 167).أمّا إن كان صفة بقيت العين على سكونها نحو: ضَخْمَة وضَخْمَات، وإنّما فعلوا ذلك فرقا بين الاسم والصفة، وكان الاسم أولى بالتّحريك، إلاّ أنّ بعضهم قد يسكّنون العين منه طورا اضطرارا، ويجري ذلك في المعتلّ كما يجري في صحيحها. (المباركي، 2007م)فقراءة التخفيف بالسكون ؛لأنّه جمع (نحس) حيث جعلوه اسما غير صفة، ودليلهم قوله تعالى:{ في يوم نَحْسٍ مستمر } (القمر: 19) فأضاف "اليوم" إليه فدلّت الإضافة على أنّه اسم. (مكيّ بن أبي طالب، 2007م) ويحتمل أن يكون أراد الكسر في الحاء فأسكنها تخفيفا. (البنا، 1407هـ-1987م)ويحتمل في قراءة التخفيف أن يكون صفة، وأصله الفتح، كالعَبَلات والعَصَبات؛ ولكن أسكنت استخفافا لثقل الصفة، كما يقال: العَبْلات، ويجوز أن يكون أراد الكسر فأسكن استخفافا. (البنا، 1407هـ-1987م)

وعليه يمكن القول: إنّ تسكين وسط الكلمة الثلاثيّة، سواء أكانت بصيغة الإفراد أم بصيغة الجمع، تسكين صرفيّ في لهجات بعض القبائل التي تؤثر المقاطع الساكنة على المقاطع المتحركة، ومنها قبيلة تميم التي تؤثر تسكين وسط الكلمة، (جناح، 1419هـ-1999م) وقبيلة بكر بن وائل التي كانت تجاور تميما في نجد وشرقي الجزيرة العربية، وكذلك عموم ربيعة. (جناح، 1419هـ-1999م) على أن توالي الصوائت من لهجة الحجاز، وهي تلائم البيئة الحضرية التي تميل إلى التأنّي في الكلام، بحيث تعطي كل صوت حقه، وأن التخفيف من لهجات تميم وأسد، وهي قبائل بادية تميل إلى السرعة والاقتصاد في المجهود العضلي، وهذا الحذف يوفّر لهم ذلك.(أنيس ,في اللّهجات العربيّة2003 ,م)

وبهذا يظهر أنّ اختيار قراءة التسكين وإيثارها تجنبا لتوالي ثلاثة مقاطع متحركة بالفتح. والثابت أنّ معظم اللّهجات العربيّة تنفر من توالي المقاطع المتحرّكة، ويظهر ذلك في تعليق أبي حيّان على قراءة

الإسكان في الجيم في قوله تعالى: {حتّى يحكّموك فيما شجر بينهم} (النساء: 65)، قائلا: فرّ من توالي الحركات، وليس يقوى لخفة الفتحة بخلاف الضمة والكسرة، فإنّ السكون بدلهما مطّرد. (الأندلسي، 1413هـ-1992م)

5.2. التسكين في الأفعال:

وذلك في قوله تعالى: {وأرنا مناسكنا} (البقرة:128) و{ربّ أرني كيف تحيي الموتى} (البقرة:260)، و{أرنا الله جهرة} (النساء:153)، و{أرني أنظر اليك} (الأعراف: 143) و{أرنا اللّذيْن أظلاّنا} في (فصلت: 29) فأسكن الراء فيهما ابن كثير ويعقوب، ووافقهما في (فصّلت) فقط ابن ذكوان وأبو بكر، واختلف عن أبي عمرو في الخمسة، أما باقي القرّاء بكسر الراء في الخمسة. (الخطيب، دمشق)لقد اختار مكي تمام الحركات في الراء؛ لأنّه الأصل وعليه جماعة القرّاء غير أنّه فاضل بين الإسكان في (أرنا) و(أرني) ،وبين الإسكان في {بارئكم} (البقرة: 54)، وفي {يأمركم} (البقرة: 67) وشبهه :لأنّ تلك حركة بناء لا تتغيّر، وهذه حركة إعراب تتغيّر وتنتقل، وإسكان حرف الإعراب بعيد وضعيف، وإسكان حركة البناء مستثقلة غير أنّها كثيرة في الاستعمال؛ لأنّ (أرني) بمنزلة (كتفي) و (أرنا) بمنزلة (كتفا) والعرب تسكن الثاني من هذا استخفافا، فحمل (أرني) و(أرنا) على ذلك، لأنّ الكسرة في كل ذلك بناء. (مكيّ بن أبي طالب، 2007م)

وقال ابن خالويه أنّ الأصل في الفعل: "أَرْئِينَا" على وزن "أَكْرِمْنَا" فنقلت كسرة الهمزة إلى الراء، وحذفت الهمزة تخفيفا، وسقطت الياء للأمر. ولمن أسكن حجّتان:إحداهما: أنّه أسكنها، والأصل كسرها تخفيفا كما قالوا في فَخِذ: فَخْذ.والثانية: أنّه بقّى الراء على سكونها، وحذف الهمزة بحركتها ولم ينقلها. (ابن خالويه، دت)غير أنّه يمكن تفسير الإسكان كسابقيها؛ بأنّه كراهية لتوالي الأمثال وهو هنا توالي الحركات، فالعرب تقول: أراك مُنْتَفْخا" بسكون الفاء استخفافا لتوالي الحركات. (طالب، 2007م)

وخلاصة القول في هذا الباب، ونتيجة لهذا الإحصاء لظاهرة التسكين في قراءة ابن كثير، هناك نقاط لابد من الخلوص إليها والإشارة إلى وجودها.

إنّ القرّاء اختلفوا في التحريك والتسكين بحيث لا يظهر لهم مذهب واحد. (الراجحي، 1428هـ-2008م) غير أنّه يمكن أن نقول: إنّ حذف الصائت جاء نتيجة توالي الصوائت، سواء أكانت هذه الصوائت في اسم أم فعل، ومفرد أو جمع، وسواء كان هذا التوالي في كلمة نحو: (قدس)، أم في كلمتين نحو: (أرنا) - إذا اعتبرنا الفعل كلمة والضمير المتصل كلمة ثانية- وسواء كانت هاته الحركات متماثلة نحو: (الدرك، خطوات، قدس) أم مختلفة نحو (رجلك، قطعا، نحسات).كما أنّ هذا الحذف للصائت كان طلبا للتخفيف لاستثقال توالي الصوائت؛ ذلك أنّ البنية المقطعية تتغيّر من توالي مقطعين أو ثلاثة مفتوحة إلى مقاطع مغلقة، وذلك بإدماج مقطعين قصيرين مفتوحين إلى مقطع متوسط مغلق في الغالب.

توالي الحركات مع الضمّات يثقل، كما أنّ توالي الكسرتين يكره في مواضع، وإنّما الكسرة من الياء، فكراهية الكسرتين المتواليتين، كما تكره الياءان؛ لذلك مال المتكلّم إلى تخفيف ذلك بالمخالفة بينهما - الضمّتين والكسرتين - وتوالي مقاطع مفتوحة عن طريق التسكين، وعموما هو سلوك لغوي يراد به التّخفيف.

4. خاتمة :

يميل المتكلّم بطبعه إلى تغيير الألفاظ بالمخالفة بين أصواتها؛طلبا للخفّة طبقا لنظريتيّ الشيوع والسهولة، فكلّما شاع استعمال الألفاظ كثر التغيّير فيها ؛استخفافا على الألسنة ،فالمتكلّم يميل بالفطرة إلى الاقتصاد في الجهد العضليّ المبذول في التعبير.

تنبّه اللّغويون إلى أنّ كثرة الاستعمال تقف وراء ظاهرة التخفيف؛ لأنّ من عادة العرب إذا كثر استعمالهم لشيء أحدثوا فيه تخفيفا بوجه من الوجوه ،فهو مظهر من مظاهر الاختلاف اللّهجي بين العرب. والحجازيّ ميّال بفطرته إلى التأنّي في اختيار الألفاظ،وطريقة نطق بعض الأصوات مع الحرص على إعطاء كلّ صوت حقّه من الكمال،وعدم الجور بالحذف أو التغيّير؛ ذلك لاتّصافه بالتحضر والتمدن،ولاتصاله بالأمم الأخرى. أمّا البدويّ يميل إلى التخفيف والسرعة في النطق أحيانا لاقتصاد الجهد العضلي. فاللّهجة التّميمية تجنح إلى حذف الحركات وهي فرع عن اللّهجة الحجازيّة وهذا الحذف يلائم عادات البدو في سرعة النطق؛ليلهم إلى الاقتصاد في الجهد العضلي بخلاف الحجازيّ المتحضّر الذي يسعى إلى إعطاء كلّ صوت حقّه من البيان.

ومن هنا كان الحذف والتغيّير في بعض الأصوات مظهرا من مظاهر القراءات القرآنية المختلفة باستخدام المقابلات، الفرق بين المتخالفات بواسطة القيّم الخلافيّة.ومن أهمّ مظاهر التخفيف التسكين؛ لأنّ السكون أخفّ من سائر الحركات، وهو وحده في النظام الصوتيّ للّغة العربيّة يقف في مقابل الحركة أيّا كانت، وعلاقته بها علاقة السلب والإيجاب، فهو قيمة خلافيّة تدلّ على خلوّ الحرف من الحركة، وعلامة على الوقف وعلى غلق المقطع العربيّ.

إن تتابع الحركات وتواليها مظهر من مظاهر الثّقل يكرهها العرب فهي تكره تتابع المقاطع القصيرة، فالعربيّة لم تجمع بين أربع مقاطع قصيرة في كلمة واحدة إلاّ في حالة نادرة، وبهذا فإنّ التباين والتخالف ليس في الحركات فقط بل في المقاطع أيضا. وبإحصاء الكلمات القرآنية الثلاثيّة المقاطع فإنّ العربيّة تنزع إلى تسكين العين(الوسط) في الكثير من الأسماء والأفعال الثلاثيّة سواء أكانت بصيغة الإفراد أم بصيغة الجمع، واختيار التسكين وإيثاره تجنّبا لتوالي ثلاثة مقاطع مفتوحة بإدماج المقطعين الأوّل والثاني في مقطع واحد.

- المصادر والمراجع:

إبراهيم أنيس. (2003م). *في اللهجات العربيه* . القاهرة: المكتبة الأنجلو المصرية.

ابن الجزري. (2002م). *النشر في القراءات العشر*. طنطا: دار الصحابة للتراث.

ابن جنّي. (1429هـ-2008م). *الخصائص*. بيروت : دار الكتب العلمية.

ابن جنّي. (1998م). *المحتسب في تبيين شواذالقراءات والإيضاح عنها*. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن خالويه. (دت). الحجة في القراءات السبع. بيروت: دار الشروق.

ابو حيّان الأندلسي. (1413هـ-1992م). *البحر المحيط*. القاهرة: دار الكتاب الإسلامي.

أبو زرعة. (1413هـ-1992م). الحجة في القراءات. بيروت: مؤسسة الرسالة.

أبو علي الفارسي. (دت). *الحجة للقراء السبعة*. دمشق: دار المامون للتراث.

احمد بن محمد البنا. (1407هـ-1987م). *أتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربع عشر*. بيروت : عالم الكتب.

أحمد طه حسن سلطان. (1425هـ-2004م). قراءة يحيي بن وثاب في ضوء علم التشكيل الصوتي. القاهرة: مكتبة وهبة.

احمد علم الدين الجندي. (1978م). *الهجات* العربية في التراث. ليبيا-تونس: الجار العربية العربيةللكتاب.

الزجاج. (1426هـ-2005م). معاني القرآن. القاهرة: دار الحديث.

الفرّاء. (1423هـ-2002م). معاني القرآن. بيروت: دار الكتب العلمية.

الفرابي. (دت). ديوان الأدب. مجمع اللغة العربية.

النحاس. (1985م). إعراب القرآن. القاهرة: عالم الكتب.

أنيس ,إ2003) .م .(في اللهجات العربية .القاهرة : المكتبة الأنجلو المصرية.

تمام حسان. (1425هـ-2004م). العربية معناها ومبناها. القاهرة-مصر: عالم الكتب.

سيبويه. (1998م). *الكتاب*. القاهرة: مكتبة الخانجي.

صاحب أبو جناح. (1419هـ-1999م). الظواهر اللغوية في قراءة الحسن البصري. عمان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

طه صالح أمين آغا. (1428هـ -2007م). *توجيه* القراءات القرآنية عند الفراء-معاني القرآن-. بيروت: دار المعرفة.

عبد البديع النيرباني. (1427هـ-2006). *الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج*. دمشق: دار الغوثاني للدراسات القرآنية.

عبد الصبور شاهين. (1408هـ-1978م). *أثر* القراءات في الأصوات والنحو العربي أبو عمرو بن العلاء. القاهرة: مكتبة الخانجي.

عبد اللطيف الخطيب. (دمشق). معجم *القراءات*. 1422هـ-2005: دار سعد الدين للطباعة والنشر.

عبده الراجحي. (1428هـ-2008م). *اللهجات العربية في القراءات القرآنية*. عمان: دار الميسرة للتوزيع والنشر.

فوزي حسن الشايب. (1425هـ-2004م). *أثر القوانين الصوتيةفي بناء الكلمة*. إربد: عالم الكتب الحديثة.

محمد خان. (2003م). *اللهجات العربية والقراءات القرآنيه في البحر المحيط*. القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع.

محمد سالم بن محيسن. (1418هـ-1998م). *القراءات العربية وأثرهافي علوم العربية*. بيروت: دار الجيل.

مكي بن أبي طالب. (2007م). *الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها*. القاهرة : دار الحديث.

يحيى المباركي. (2007م). *أثر اختلاف اللهاجات العربية في النحو*. القاهرة: دار النشر للجامعات.